تاريخ التلقي لحديث الرسول(ص)

(اهجهم وروح القدس معك)

قيس حمزة الخفاجي

كلية التربية في جامعة بابل

"قال الطبرسي: وقال النبي(ص) لحسان بن ثابت: اهجهم أو هاجهم وروح القدس معك. رواه البخاري ومسلم في الصحيحين". الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط2، 1973: 19/337-338.

المقدمة

يتابع هذا البحث بطريقة تاريخية متداخلة وبرؤية مقارنة، وبروح نقدية أحد الأحاديث التي قالها الرسول الأكرم(ص)، وهو بحق شاعر مشهور هو حسان بن ثابت، ليكشف ما ذُكِر عن توقيت قول هذا الحديث وعن مناسبة قوله، وعن مدى صحة التفسيرات التي رافقته في كتب الأدب، وعن مدى دقة القول دلاليا، ذلك القول الذي اتخذ تراكيب متنوعة، من خلال متابعته في عدد من الكتب الدينية والتاريخية والأدبية.

إن هذا البحث يمثل نوعا من المراجعة للشائع للكشف عن المهمَّش المغيَّب الذي يتوافق مع المنظومة الفكرية الكبرى التي استدعت نزول القرآن وقام الإسلام بتحقيقها على أرض الواقع الفكري والنفسي.

تمهيد: في رسالة الروح القدس

تقرأ في(إنجيل لوقا):"لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه"[1]، فتتذكر قضية تأييده لحسان. وتتذكر أيضا أنك قرأت ما يدل على أنه ليس الشاعر الوحيد الذي أُيِّد بروح القدس، فقد جاء عن الباقر(ع) أنه قال للكميت:"إن لك بامتداحنا ما قال رسول الله(ص) لعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت، قال لهما لن تزالا تؤيدان بروح القدس، ما ذببتما عنا بألسنتكما"[2].

وفي رواية أخرى عن الكميت نفسه "قال: دخلت على أبي جعفر(ع) فقال: والله يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول الله(ص) لحسان بن ثابت: لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنا"[3].

وفي رواية عن دعبل بن علي الخزاعي قال:"لما أنشدت مولاي الرضا(ع) قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميّز فينا كل حقّ وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا(ع) بكاء شديدا، ثم رفع رأسه إلي فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين"[4].

وليس الأمر منحصرا في شعراء الزمن الماضي، بل يمتد إلى شعراء الأزمان الأُخر، فقد جاء عن أبي عبد الله الصادق(ع) أنه قال:"ما قال فينا قائل بيتا من الشعر حتى يؤيّد بروح القدس"[5].

وليس الأمر منحصرا في الشعراء فقط، بل يشمل غيرهم أيضا، فقد روي عن الصادق(ع) أنه قال لهشام بن الحكم(المناظر):"يا هشام لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك"[6].

المبحث الأول: الاقتطاع من السياق الدال

تقرأ في(طبقات فحول الشعراء):"شعبة، عن عدي بن ثابت الأنصاري: أنه سمع البراء بن عازب الأنصاري يقول: قال رسول الله(ص):اهجهم- أو هاجهم- وجبريل معك"[7]، فتسأل نفسك: متى قال له ذلك؟ ومن المعنيون بالضمير(هم)؟ وهل هناك من نقل الحديث غير ابن سلام باللفظ نفسه؟ ثم تنظر في الهامش فتقرأ ما كتبه محققه محمود محمد شاكر، إذ قال:"حديث شعبة، رواه البخاري بلفظه في كتاب بدء الخلق، وفي كتاب المغازي، وفي كتاب الأدب، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، ورواه أحمد في المسند:299/4، 301، 302"[8]، فيفتح لك أبواب الإجابة.. وتفضل العودة إلى تلك المصادر.

وتحاول أولا أن تتأكد من سلسلة الرواة التي ذكرها ابن سلام وهي:(شعبة -عدي بن ثابت- البراء بن عازب)، متابعا ترتيب المحقق، في صحيح البخاري، فتجد السلسلة نفسها، وتجد الصيغة نفسها أيضا قد ذكرت ثلاث مرات فيه[9]. ثم تعود إلى صحيح مسلم، فتجد الرواية المتكررة في صحيح البخاري بسلسلتها نفسها[10]، وتجد شرحا لهذا الحديث في(التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول)، جاء فيه:"أي ذمّ المشركين وجبريل يؤيدك"[11] معطيا صفه للمهجوّين ومعنى قوله(ص):(وجبريل معك).

وتعود إلى كتاب أسبق من(الصحيحين) هو(مسند أحمد)، فتجد الرواية المتكررة بسلسلتها نفسها[12]، وبسلسلة أخرى هي(بهز-عدي بن ثابت- البراء)[13] وتجد رواية أخرى بسلسلة أخرى هي(إسرائيل- أبو إسحق- البراء) تشكك في الجزم المتعلق بـ(جبريل) لفظيا في أقل تقدير، إذ ذكر:"أن رسول الله(ص) قال: يا حسان اهج المشركين فإن جبريل معك أو إن روح القدس معك"[14]، فقد أضيفت عبارة:(أو إن روح القدس معك) على سبيل الشك!، وإذا أنت الآن أمام(الهجاء -جبريل) أو(الهجاء- روح القدس).

وهنا تقرر أن تعود إلى كتاب في الأحاديث أسبق من(مسند أحمد)، فتقع على (المصنف)، ولا تجد فيه تلك الرواية المتكررة، ولكنك تجد صيغة أخرى بسلسلة أخرى هي(عيسى بن يونس- مجالد- الشعبي) ربما تكون هي الأصل في حدوث الشك في الرواية السابقة في(مسند أحمد)، فقد جاء في(المصنف):"أن رسول الله(ص) قال: اهج المشركين فإن روح القدس معك"[15]، وتضع في الحسبان أنها لم تكن عن طريق(البراء) وإنما عن طريق(الشعبي)؛ لأن هذا التداخل في الرواية بين روايتين أو أكثر عن طريق راويتين أو أكثر، هو مما يسعى هذا البحث لمتابعة تجلياته ونتائجه.

وتعثر في(المصنف) على رواية أخرى بسلسلة أخرى هي(حفص بن غياث-مجالد- الشعبي) ولكن عن طريق عائشة، إذ جاء فيه:" ذُكر عند عائشة حسان فقيل لها:إنه قد أعان عليك وفعل وفعل، فقالت:مهلا فإني سمعت رسول الله(ص) يقول:إن الله يؤيد حسان في شعره بروح القدس"[16]، فتنتبه باستغراب على الإطلاق الموجود في تعبير(في شعره)، ويبرز لك الربط بين(التأييد) و(روح القدس)، ولا تجد لفظا دالا على الهجاء.

وتقف عند(الإطلاق) ثم تبحث عنه فلا تجد هذه السلسلة(مجالد- الشعبي-عائشة) مقترنة بذلك(الإطلاق)(في شعره)، بعد ذلك في المصادر الأُخر...ثم تحاول أن تنظم الأفكار وتدقق فيها فتصل إلى عدم ورود الربط بين(الهجاء) و(روح القدس) في(صحيح البخاري) ولا في(صحيح مسلم)، وإلى وروده برواية سلسلتها(أبو إسحق- البراء) من غير(فإن جبريل معك) في(السنن الكبرى) للنسائي، مع أن الراوي

الذي روى عن(أبي إسحق) هو(إسرائيل) نفسه[17] الذي وردت عنه الرواية المشككة في(مسند أحمد) المشار إليها قبل قليل.

ثم تجده قد ظهر بشكل غريب لفظيا ودلاليا في(المستدرك)، إذ جاء فيه: "عيسى بن عبد الرحمن حدثني عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله(ص) لحسان بن ثابت:إن روح القدس معك ما هاجيتهم"[18]. والغرابة متأتية من أن ما ورد عن(البراء)- وقد ذكر قبل قليل- لم يكن هكذا، ولاسيما ما يخص تعبير(ما هاجيتهم). وهنا تشعر بأثر الراوي الذي روى عن(عدي بن ثابت عن البراء) وهو(عيسى بن عبد الرحمن)، أو من جاء بعده، في تغيّر الصوغ اللغوي، تغيّرا دالا، ومغيِّرا في الدلالة.

ثم تجده قد ظهر بصوغ آخر مختلف ومثير في(مجمع الزوائد)، إذ جاء فيه:"عن البراء بن عازب أن رسول الله(ص) قال لحسان بن ثابت: اهج المشركين فإن الله تعالى يؤيدك بروح القدس"[19]. وهنا تتنبه على ظهور مفردة دالة بصيغة المخاطب هي(يؤيدك)، وتتذكر أنها مرت بك قبل قليل بصيغة الغائب، وهي(يؤيد). ويعلق الهيثمي على هذه الرواية قائلا:"رواه الطبراني في الصغير، وفيه أيوب بن سويد الرملي وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان وقال كان رديء الحفظ"[20]، بل ظهر فيه أيضا قبل ذلك، بصوغ آخر هو:"عن جابر قال: قال رسول الله(ص) لحسان: اهجهم أو هاجهم اللهم أيده بروح القدس"[21]، وتثيرك فيه صيغة الدعاء(اللهم أيده)!

وفي(الغدير) تجد تركيبا لما سبق هو:(اهج المشركين فإن روح القدس معك ما هاجيتهم)، ويحيل على مسند أحمد:298/4) و(مستدرك الحاكم:487/3)[22]. وأقرب صيغة لهذا التركيب وردت في(مسند أحمد)-كما مر معك- هي:(يا حسان اهج المشركين فإن جبريل معك أو إن روح القدس معك)، وبقية الصيغ تقتصر على(جبريل)، أما الصيغة التي أوردها الحاكم فهي- كما مر معك-:(إن روح القدس معك ما هاجيتهم)!

تتأمل في سياق الصيغ السابقة فلا تجد مفتاحا دلاليا يفك التشابك، فتبحث من جديد فتجد عن أبي الزناد "عن عروة عن عائشة أن رسول الله(ص) وضع لحسان منبرا في المسجد ينافح عن رسوله(ص)"[23]، فيبرز لك الربط بين(المنبر في المسجد) و(التأييد) و(روح القدس) و(المنافحة عن رسول الله(ص))، وتشعر بالفرق الكبير بين(الإطلاق) و(التقييد).

ويتنوع النقل بدخول راو آخر عن عروة، هو هشام، فتقرأ:"عن عائشة رضي الله عنها، قالت:كان رسول الله(ص) يضع لحسان منبرا في المسجد فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله(ص)، فقال رسول الله(ص):إن روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله(ص)"[24]، فتتنبه على وجود كلمة دالة على(الهجاء)، ويتأكد لديك اشتراط المنافحة عن رسول الله(ص)، ووجود المنبر في المسجد، ويبرز لك تعبير(يقوم عليه يهجو من قال في رسول الله(ص)) مقابل(ينافح عنه) بالشعر.

ويتنوع النقل كذلك بتنوع الرواة عن أبي الزناد، فتجد:"عن عائشة قالت: كان النبي يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله(ص) أو قالت: ينافح عن رسول الله(ص)، ويقول رسول الله(ص):إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله(ص)"[25]، وتثير كلمة(يفاخر) وتعبير(ما يفاخر) انتباهك كثيرا، فهناك فرق بين(ما ينافح) و(ما يفاخر)، وتسأل نفسك: هل كان التأييد مطلقا، أو مدة(المهاجاة)، أو مدة(المنافحة)، أو مدة(المفاخرة)؟!

وتجد رواية قريبة جدا من الرواية الأخيرة تجمع بين السلسلتين(أبو الزناد-عروة-عائشة) و(هشام-عروة-عائشة)، جاء قول النبي(ص) فيها بصيغة الماضي، هي:"قالت:كان رسول الله(ص) يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله(ص)، ويقول رسول الله(ص):إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله(ص)"[26]، فلا ترى(يهجو من قال في رسول الله(ص)، ولا ترى(أو

قالت: ينافح عن رسول الله(ص)) أي أن(المفاخرة) بدأت تأخذ حيزا أكبر من(المنافحة)، وأن(المهاجاة) اختفت هنا باللفظ الصريح.

وتجد هذه الصيغة من غير(أو فاخر) في (كنز العمال)[27] بالقرب من رواية على سبيل الخطاب لا على سبيل الغيبة- كما مرّ-هي:" إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله- قاله لحسان"[28].

وتقرأ في الهامش تعليقا هو:" نافحت: ومنه الحديث: إن جبريل مع حسان ما نافح عني. أي دافع. والمنافحة والمكافحة: المدافعة والمضاربة، يريد بمنافحته هجاء المشركين ومجاوبتهم على أشعارهم". النهاية [في غريب الحديث، ابن الأثير]:89/5"[29] فتسأل نفسك بناء على التباين في الرواية: هل المنافحة هي المهاجاة أو المفاخرة ؟! ويثير انتباهك هنا تعبير(لا يزال يؤيدك)؟! وتعبير(عن الله ورسوله)، وتسأل نفسك مرة أخرى:من أين جاء تعبير(لا يزال يؤيدك)؟!

ونقل(المتقي الهندي) عن(العقيلي) حديثا مرويا عن عائشة يربط بين الهجاء وروح القدس هو"اهجهم فإن روح القدس سيعينك"[30]، فتعود إلى كتاب العقيلي (الضعفاء الكبير) فتجد فيه:"إسماعيل بن مجالد بن سعيد: لا يتابع على حديثه. حدثنا محمد بن هشام قال حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان قال حدثنا إسماعيل بن مجالد قال سمعت هلال الوزان عن عروة عن عائشة أن النبي(ص) قال لحسان:اهجهم فإن روح القدس سيعينك. وأخبرنا محمد بن أحمد قال سمعت إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني يقول: إسماعيل بن مجالد بن سعيد مذموم. وهذا الحديث يعرف من حديث ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة نحوه"[31].

وتجد في(تهذيب التهذيب) كلاما على إسماعيل بن مجالد وعن أبيه مجالد بن سعيد، يقلل من قيمة روايتيهما، ويضع مرتبة الأب دون مرتبة الابن[32].

وهنا تتذكر أن الحديث(إن الله يؤيد حسان في شعره بروح القدس) الذي أطلق التأييد، ولم يقيده، كان مرويا عن مجالد.

وتعود إلى(المصنف) من جديد، لا لتضع علامة استفهام على هذه الرواية، بل لتضع علامة استفهام أخرى على الرواية الثانية التي تقول:"عيسى بن يونس عن مجالد عن الشعبي أن رسول الله(ص) قال:اهج المشركين فإن روح القدس معك"[33]؛ لأنها تبدو وكأنها الأصل لـ(اهجهم فإن روح القدس سيعينك) المضعّفة، ولأن هذه الرواية رواها الابن(إسماعيل) وتلك رواها الأب(مجالد).

ويبدو لك أن(اهج المشركين فإن روح القدس معك) لم تكن أصلا لـ(اهجهم فإن روح القدس سيعينك) فقط، وإنما كانت أصلا لـ(اهج المشركين اللهم أيده بروح القدس) الواردة في(المعجم الصغير)، إذ تجد فيه:"إبراهيم بن زياد سبلان حدثنا إسماعيل بن مجالد عن هلال الوزان عن عروة عن عائشة أن النبي(ص) قال لحسان بن ثابت:اهج المشركين اللهم أيده بروح القدس"[34]، ولاسيما أن الرواة هم أنفسهم من أقرب راوٍ إلى أبعد راوٍ فيهم! ويثيرك الدعاء(اللهم أيده)! وتسأل عن اقترانه بـ(الهجاء).

وتتذكر أن هذا التعبير(اللهم أيده) ورد على لسان حسان نفسه، ولكن لم يكن مقترنا بـ(الهجاء) وإنما بـ(الإجابة عن النبي(ص))، حينما مر به عمر بن الخطاب وهو ينشد الشعر في المسجد، فانتهره، فقال حسان لأبي هريرة: أنشدك الله أسمعت النبي(ص) يقول:أجب عني اللهم أيده بروح القدس، فقال أبو هريرة: نعم[35].

ويثيرك تعبير(أجب عني) فهل كانت الإجابة بـ(الهجاء) أو(بالمفاخرة) أو(بالمنافحة)؟!

ولا تجد ذكرا للتأييد نفسه في قصة مرور عمر بحسان في رواية لسعيد بن المسيب، جاء فيها:"أنشد حسان بن ثابت وهو[في] المسجد فمر عمر به فلحظه فقال حسان والله لقد أنشدت فيه من هو خير منك فخشي أن يرميه برسول الله (ص) فجاز وتركه"[36].

وبمراجعة بسيطة لروايات ما حدث بين عمر وحسان في المسجد تجد أن موقع الراوي الأول يشغله اثنان هما ابن عبد الرحمن بن عوف(أبو سلمة= يحيى؟) وسعيد بن المسيب، وتجد أن من الروايات ما يذكر اعتراض عمر دون الإشارة إلى التفات حسان إلى أبي هريرة وسؤاله عن قول الرسول(ص) فيه... إن لرواة الأحاديث أمورا عجيبة.

والسؤال الذي يمكن أن تثيره هنا هو:لِمَ لم يرد هذا الحديث بصيغته نفسها عن غير حسان باستفهامه التقريري وأبي هريرة بجوابه الإقراري؟ وهذا السؤال يثير سؤالين آخرين هما:هل كانت هذه الحادثة(الإقرارية) قبل أن يعزل عمر أبا هريرة عن البحرين أو بعده؟[37] وهل يمكن أن تكون تلك الحادثة حادثتين؛ الأولى تشتمل على إنكار عمر إنشاد حسان في المسجد، والثانية تشتمل على طلب حسان من أبي هريرة الاعتراف بما قاله؟ وإلا أيعقل أن يحتاج عمر إلى شهادة أبي هريرة في حديث للرسول(ص) يفترض أن يكون معروفا للقاضي والداني؟

وتسأل نفسك عن الإعانة في غرض الهجاء المبني على التعيير بالمثالب:أيمكن أن تصدر المساعدة في الهجاء من جبريل المكلف بتوصيل الوحي الإلهي إلى النبي محمد(ص)؟ وإذا كان يمكن أن يساعد أحدا ما في جانب إيماني ما، فكيف يمكن أن يؤيد جبريل حسان ويعضده في مسألة الهجاء؟ وما وصل إليك عن(ابن بريدة) يشير إلى"أن جبريل أعان حسان بن ثابت على مدحته النبي(ص) بسبعين بيتا"[38]. والمدح ولاسيما مدح النبي(ص) شيء أخر وعلى النقيض من الهجاء! وقد أشار إدريس الناقوري في الهامش إلى أن يحيى الجبوري وضح في كتابه(شعر المخضرمين:177)"أن شعر حسان وكعب وابن رواحة لم يرفع إلى مستوى الحدث الإسلامي ولم يوفق كل التوفيق في إبراز تعاليم الدين"[39]، وأنك تتذكر أن شعر حسان أثر في المشركين قبل الفتح ولم يؤثر فيهم شعر عبدالله بن رواحة، وحصل العكس بعد الفتح إذ أصبح شعر عبد الله مؤثرا وفقد شعر حسان تأثيره. ومما جعله يقر بذلك ما ذُكر عن أن:"اتفاق شعراء الإسلام الثلاثة في الهدف لم يمنعهم من انتهاج سبل مختلفة إلى تحقيقه، فعلى حين كان حسان وكعب يعارضان قريشا وشعراءها بمثل قولهم أي بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، كان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة. وتبين رواية الأغاني(4/137-138) هذه وغيرها كثير من مصادر الأدب أن ابن رواحة كان أكثر اتكاء على قيم الإسلام وأعمق تمثلا لمبادئه من حسان مثلا"[40]. ثم تسأل نفسك:إذا كان جبريل هو المساعد في الهجاء فما الداعي إلى توجيه النبي(ص) لحسان بالذهاب إلى أبي بكر كما هو شائع؟!

المبحث الثاني: مواقف سياقية وروايات متشابكة

ما تقدم يذكرك بمواقف متعددة وروايات متشابكة، متناسلة في بعض جوانبها، متضاربة في بعض أفكارها، تخص حسان بن ثابت، منها:

أ- **يوم غدير خم:** فقد روي أن حسان بن ثابت كان "أول من نظم حادثة غدير خم من الشعراء[...] فقال النبي(ص) في حقه:"لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك"[41]، وروي بصورة أخرى أنه بعد أن انتهى حسان من قصيدته في يوم غدير خم "قال له النبي(ص):يا حسان لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نافحت عنا بلسانك"[42]، وبصورة ثالثة تنتهي بـ"ما دمت تقول فينا"[43].

ويتضح لك من خلال اطلاعك عليه في كتاب(الغدير) أن الأميني أورده تعبيرا عن ارتياح الرسول(ص) لشعر حسان بعد أن فرغ من شعره في الإمام علي(ع) يوم غدير خم، وإشارة إلى دعاء الرسول(ص) لحسان[44]، وتعبيرا عن إقرار الرسول(ص) حسان على ما فهمه من مغزى كلامه في يوم غدير خم، وتقريظه له[45]. وقد علق الأميني في الهامش قائلا:"هذا من أعلام النبوة ومن مغيبات رسول الله، فقد علم أنه سينحرف عن إمام الهدى صلوات الله عليه في أخريات أيامه، فعلق دعاءه على ظرف استمراره في نصرتهم"[46]. وتتوقف وتحاول أن تتأمل هذا الكلام، وتشعر بشك في الفكرة، وبتشكيك في صاحبها. وتراجع(الكنى والألقاب) فتقرأ:"استأذن حسان بن ثابت أن يقول أبياتا في ذلك اليوم[=يوم الغدير] فأذن له فأنشأ يقول:

يناديهم يوم الغدير نبيهم

الأبيات، فقال النبي(ص):لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. قال شيخنا المفيد(ره):وإنما اشترط رسول الله(ص) في الدعاء له لعلمه بعاقبة أمره في الخلاف، ولو علم سلامته في مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق"[47]. فتقول في نفسك: قد يكون حسان كذلك فعلا، فهو لم يبايع الإمام علي(ع) بعد مقتل عثمان[48]، ولكن ما الموقف من الكميت وعبدالله بن رواحة في الرواية الأولى عن الباقر(ع) المذكورة في التمهيد، وما الموقف من هشام بن الحكم في الرواية عن الصادق(ع) المذكورة في التمهيد أيضا، وهم جميعا لم يُعرف عنهم خلاف؟!... وترى أن مسألة(التأييد بروح القدس) تتعلق بالإقدام على النصرة، والقيام بها، والوقوف إلى جانب الحق، لا بالولاء أو العداء.

وتخلص مما تقدم إلى أن هذه الصيغة(لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك) أو ما هو قريب منها كثيرا، تخص شعر حسان في مدح الإمام علي(ع) يوم غدير خم، الذي يمثل آخر مرحلة من مراحل عمر الرسول(ص).

ب- يوم وفد بني تميم: ولأنك تتذكر صيغا أُخر للحديث، تفتش في الكتب فتجد: "عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما قدم وفد بني تميم وضع النبي(ص) لحسان منبرا وأجلسه عليه وقال: إن الله ليؤيد حسان بروح القدس ما كافح عن نبيه(ص)"[49]، وتتنبه على تعبير(ما كافح عن) بعد أن مرت عليك تعبيرات(ما نصرتنا بلسانك) و(ما نافحت عنا بلسانك)(ما دمت تقول فينا)، فضلا عن اختلاف الصيغة العامة للحديث، وتتنبه أيضا على وقت وضع المنبر لحسان وهو قدوم وفد بني تميم وأنه لم يكن موجودا قبل ذلك، متذكرا أن النبي(ص) اتخذ سنة(7هـ) "منبره الذي كان يخطب الناس عليه، واتخذ درجتين ومقعده. قال: ويقال: إنه عمل في سنة ثمان، قال: وهو الثبت عندنا"[50].

وهنا تترتب أوراقك بعض الشيء من حيث إن الطبري ذكر في أحداث سنة(9هـ) قدوم وفد بني تميم وشعر الزبرقان بن بدر، ثم قال:"وكان حسان بن ثابت غائبا، فبعث إليه رسول الله(ص). قال حسان: فلما جاءني رسوله، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم خرجت إلى رسول الله(ص)[...] قال رسول الله(ص) لحسان. قم يا حسان، فأجب الرجل فيما قال[...] فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس، وأبي إن هذا الرجل لمؤتى له؛ لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا"[51]. والغريب في هذا الخبر أن حسان بن ثابت ومن جمعوا أطراف الخبر لم يذكروا قضية إعلان النبي(ص) عن تأييد حسان بروح القدس! ولا تعثر على هذا الإعلان عند من سرد تفصيلات أكثر عن وفد بني تميم، وهو ابن عساكر[52]. ولا تجده كذلك في طبقات ابن سعد[53]. والجملة التي تجدها متداولة هي(قم فأجبه) أو ما يشبهها[54].

ج- موقف يوم الأحزاب: وهو يوم تحالفت قريش وغطفان وبنو قريظة في سنة(5هـ). وتقرأ في(الكامل في اللغة والأدب):"عن مجالد عن عامر عن جابر قال: لما كان يوم الأحزاب وردّ الله المشركين بغيظهم لم ينالوا خيرا، قال رسول الله(ص): من يحمي أعراض المسلمين؟ قال كعب بن مالك: أنا، وقال عبدالله بن رواحة: أنا يا رسول الله، قال: إنك لحسن الشعر، وقال حسان بن ثابت: أنا يا رسول الله، قال: نعم اهجهم أنت، وسيعينك عليهم روح القدس"[55].

وتقرأ في(الأغاني) كلاما قريبا جدا من هذا الكلام[56]، وصوغا للخبر يقدم فيه ذكر عبد الله بن رواحة على ذكر كعب بن مالك ويترك ذكر حسان وقضية الإعانة بروح القدس[57].. ثم تقرأ صوغا ثالثا في كتاب معاصر:"لما تمادت قريش في الهجاء والتضييق على الرسول وصحابته، استنهض النبي شعراء المسلمين وطلب منهم حماية أعراض المسلمين وردّ كيد المشركين، حين يتقدم إليه ثلاثة من الشعراء ينظر في شعرهم ويقدر مكانتهم ومعانيهم، فيقول لعبد الله بن رواحة: أنت شاعر كريم، ويقول لكعب بن مالك: وأنت تحسن صفة الحرب، ويقول لحسان: نعم اهجهم أنت، فإنه سيعينك عليهم روح القدس، ثم يوجه حسانا إلى أبي بكر ليعلمه أيام العرب ومثالبها"[58]. فتتعجب من تغير الصفات، ومن الجملة الأخيرة التي لا يعقل أن تكون قد ذكرت سنة(5هـ) وقد سبقتها معارك وأشعار كثيرة!، وتتعجب من أن الأيام والمثالب المتعلَّمة لا تخص قريشا فقط، وإنما هي(أيام العرب ومثالبها)!

وتسعى للتأكد، فتجد رواية بسلسلة أخرى وصيغة أخرى مشفوعة بإشارة سياقية دالة هي باب مرجع النبي(ص) من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، جاء فيها:"وزاد إبراهيم بن طهمان عن الشيباني عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله(ص) يوم قريظة لحسان بن ثابت: اهج المشركين فإن جبريل معك"[59]، وتعجب من أمرين: الأول: اختلاف صيغة الأمر الموجه لحسان اختلافا كبيرا مع صب الاهتمام على كلمة(جبريل)، والثاني هو التحديد الزمني والديني(يوم قريظة)؛ فمع أن المهجوّين محددون هنا وهم (المشركون)، يظهر المشكل في التوقيت الزمني المتذبذب بين العودة من حرب المشركين والتوجه إلى حرب اليهود، وهم ليسوا مشركين! إنك الآن متفاجئ بأن الرسول(ص) يقول له اهج المشركين مع أن الموقف(يوم قريظة) يستدعي هجو اليهود مثلما يستدعي هجو المشركين، من حيث إنه سلاح يسهم في كسر شوكتهم... ومن حيث إن(يوم قريظة) حدث في عصر آخر يوم عاد المسلمون فيه من حرب الأحزاب سنة(5هـ).

فإن كان الحديث يخص هجاء اليهود، فلديك إشارات دالّة، منها أن اليهود يرون (جبريل) عدوا لهم[60]، وأن (جبريل) نفسه جاء إلى النبي(ص) يأمره بالخروج إلى بني قريظة[61]، ومنها أن ابن اسحق أورد "لحسان في شأن بني قريظة عدة قصائد"[62].

د- الرد على أبي سفيان بن الحارث: تقرأ في(المستدرك):"أبو سفيان بن الحارث أخو رسول الله(ص) من الرضاعة، أرضعتهما حليمة، وابن عمه، ثم عامل النبي(ص) بمعاملات قبيحة وهجاه غير مرة، حتى أجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقصيدته التي يقول فيها:

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

الحديث. والقصيدة بطولها مخرجة في الحديث الصحيح لمسلم رحمه الله تعالى. وقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه يستأذن رسول الله(ص) أن يهجوه فلا يأذن له"[63]. فتتنبه على جملة(هجاه غير مرة، حتى

أجابه حسان)، ثم على أن الإجابة كانت بهذه القصيدة دون غيرها، وعلى أن حسان كان(يستأذن رسول الله(ص) أن يهجوه فلا يأذن له).

وتقرأ في(المستدرك) أيضا:"كان أخا رسول الله(ص) من الرضاعة وابن عمه، أرضعته حليمة أياما فكان يألف رسول الله(ص) فلما بعث رسول الله(ص) عاداه وهجاه وهجا أصحابه فمكث عشرين سنة مغاضبا لرسول الله(ص) لا يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله(ص)، فلما ذكر شخوص رسول الله (ص) إلى مكة عام الفتح ألقى الله عز وجل في قلبه الإسلام فتلقى رسول الله(ص) قبل نزوله الأبواء فأسلم هو وابنه جعفر وخرج مع رسول الله(ص) فشهد فتح مكة وحنينا. قال أبو سفيان فلما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف صلتا والله يعلم أني أريد الموت دونه وهو ينظر إلي فقال العباس يا رسول الله هذا أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث فارض عنه فقال قد فعلت يغفر الله له كل عداوة عادانيها ثم التفت إلي فقال أخي لعمري"[64].

ويفيدك(بحار الأنوار) عن(الاستيعاب) تأكيدا لما مرّ، بما جاء فيه:" قال ابن عبد البر:أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله(ص). كان من الشعراء المطبوعين، وكان سبق له هجاء رسول الله(ص) وإياه عارض حسان بقوله:

ألا أبلغ أبا سفيان إلخ

ثم أسلم فحسن إسلامه"[65].

ويفيدك الطبري أن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أسلم في سنة(8هـ)[66].

وتقرأ في(المستدرك) أيضا:"عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه كان أحب قريش إلى رسول الله(ص) وكان شديدا عليه فلما أسلم كان أحب الناس إليه"[67]، و"عن أبي حبة البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله(ص):أبو سفيان بن الحارث خير أهلي"[68].

وتقرأ في كتاب(التوابين):"ذكر ابن عبد البر بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت:مر علينا أبو سفيان بن الحارث فقال لي رسول الله(ص) هلمي يا عائشة حتى أريك ابن عمي الشاعر الذي كان يهجوني، أول من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه لا يجاوز طرفه شراك نعله"[69].

ولتنظر في قول حسان في الرد على أبي سفيان[70] في قصيدة مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

وفيها:

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

إذ يقول:

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا حنيفا رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
ثكلت بنيتي إن لم تروها تثير النقع من كنفي كداء
يبارين الأعنة مصعدات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات تلطمهن بالخمر النساء

فإن أعرضتم عنا اعتمرنا وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد يسرت جندا هم الأنصار عرضتها اللقاء
يلاقي كل يوم من معد سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

فلا تجد فيها شيئا من تقاليد القصيدة العربية القديمة في الهجاء، ولا تجد في عدد من أبياتها النفس الهجائي لحسان في قصائده الهجائية ولاسيما في مرحلة صدر الإسلام، وتشعر في نفسك أن لسان حسان في تلك الأبيات لم يكن سوى واسطة لنقل الكلام، وأن هناك مصدرا خارجيا نفث على لسانه كلاما أدخل في باب الفخر وباب المدح منه في باب الهجاء.

ولأنك لم تجد حديثا عن(التأييد) تعود تبحث من جديد، وتوسع دائرة بحثك لتشمل:

هـ- الرد على المشركين: تقرأ في(المستدرك):"عن البراء بن عازب أن رسول الله(ص) أتي فقيل: يا رسول الله إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقام ابن رواحة فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه فقال: أنت الذي تقول:(ثبّت الله) قال: نعم قلت يا رسول الله:

فثبّت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا مثل ما نصروا

قال: وأنت يفعل الله بك خيرا مثل ذلك. قال ثمّ وثب كعب فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه. قال: أنت الذي تقول:(همت)، قال: نعم قلت يا رسول الله:

همّت سخينة أن تغالب ربها فليغلبنّ مغالب الغلاب

قال: أما إن الله لم ينس ذلك لك. قال ثم قام حسان فقال: يا رسول الله ائذن لي فيه وأخرج لسانا له أسود فقال: يا رسول الله ائذن لي إن شئت أفريت به المزاد فقال: اذهب إلى أبي بكر ليحدّثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك"[71]. ويشرح الأميني في الهامش بعد أن يسوق هذا الحديث:(أفريت به المزاد):"أي شققته كناية عن إسقاطه بالفضيحة"[72]. والمعروف في كتب اللغة أن الثلاثي(فرى) يستعمل لغاية الإصلاح، والرباعي(أفرى) يستعمل لغاية الإفساد. وتتذكر(أيام العرب ومثالبها) على سبيل المقارنة بـ(ليحدّثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم).

وتتنبه على الفرق في الرواية حين تقرأ في(العقد الفريد):"يزيد بن عمرو بن تميم الخزاعي عن أبيه عن جده:أن رجلا أتى النبي(ص) فقال: يا رسول الله، إن أبا سفيان يهجوك. فقال رسول الله(ص): اللهم إنه هجاني وإني لا أقول الشعر، فاهجه عني. فقام إليه عبد الله بن رواحة فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه. قال:أنت القائل:

فثبت الله ما آتاك من حسن

قال نعم. قال: وإياك فثبت. ثم قام إليه كعب بن مالك فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه. فقال: أنت القائل(همت)؟ قال: نعم. قال: لست له. ثم قام حسان بن ثابت فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، وأخرج لسانه فضرب به أرنبه أنفه، وقال: والله يا رسول الله إنه ليخيل لي أني لو وضعته على حجر لفلقه أو على شعر لحلقه فقال: أنت له، اذهب إلى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك"[73].

ولشعورك بتداخل الخيوط وتقاطع الخطوط، ترتأي تغيير خط المتابعة، فتتجه إلى ما هو متقدم زمنيا كما يبدو، وهو:

و- **موقف الأنصار:** تقرأ في(تاريخ مدينة دمشق):"عن عروة عن عائشة قالت: مشت الأنصار إلى رسول الله(ص) فقالوا: يا رسول الله إن قومك قد تناولوا منا فإن أذنت لنا أن نرد عليهم فعلنا فقال رسول الله(ص):ما أكره أن تنتصروا ممن ظلمكم، وعليكم بابن أبي قحافة فإنه أعلم القوم بهم، فمشوا إلى عبد الله بن رواحة فقالوا: إن النبي(ص) قد أذن لنا أن ننتصر من قريش[...] فقال عبد الله بن رواحة في ذلك شعرا، فلم يبلغ ذلك منهم الذي أرادوا، فأتوا كعب بن مالك فقالوا: إن النبي(ص) قد إذن لنا أن ننتصر من قريش، فقال كعب في ذلك شعرا فلم يبلغ ذلك منهم الذي أرادوا، فأتوا حسان بن ثابت فقالوا له: إن النبي(ص) قد إذن لنا أن ننتصر من قريش[...] فقال حسان: لست فاعلا حتى أسمع ذلك من النبي(ص) فانطلق معهم حتى أتى رسول الله(ص) فقال: أي رسول الله[...] أنت أذنت لهؤلاء فقال رسول الله(ص): ما أكره أن ينتصروا ممن ظلمهم. وأنت يا حسان لم تزل (وقال الذهلي لن تزال) مؤيدا بروح القدس ما نافحت عن رسول الله(ص)"[74]. وتتنبه على تعبيرات مهمة، منها(مشت الأنصار) و(إن قومك قد تناولوا منا) و(ما أكره أن تنتصروا ممن ظلمكم)، وتثيرك تعبيرات مهمة، منها(عليكم بابن أبي قحافة) و(أنت لم تزل مؤيدا بروح القدس ما نافحت عن رسول الله(ص))، فبداية الكلام تدل على انتصار الأنصار من قريش، ونهايته تدل على منافحة عن رسول الله(ص). وصيغة التأييد تدل على أنه أُيِّد قبل ذلك بروح القدس. وتشعر بعدم التجانس في بنية الرواية!

بل إن عدم التجانس يظهر في رواية أخرى في(تاريخ مدينة دمشق)، هي: "الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير عن عائشة قالت قدم رسول الله(ص) المدينة فهجته قريش وهجوا الأنصار معه فأتى المسلمون كعب بن مالك فقالوا: أجب عنا، قال:استأذنوا إلى رسول الله(ص) فأذن له رسول الله(ص) فقال وأحسن وأجمل ولم يبلغ حاجتنا، فجاءوا إلى حسان بن ثابت فقالوا: أجب عنا فقال: استأذنوا إلى رسول الله(ص) فقال رسول الله(ص):ادعوه، فأتى حسان إلى رسول الله(ص) فقال رسول الله(ص): إني أخاف أن تصيبني معهم تهجو من بني عمي يعني أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال حسان:لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين، ولي مقول ما أحب أن لي به مقول أحد من العرب، وإنه ليفري ما لا تفريه الحربة. قال: ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه كأنه لسان شجاع، بطرفه شامة سوداء، ثم ضرب به ذقنه، قال: فأذن له رسول الله(ص) ولم يذكر ابن رواحة"[75].

ويثيرك التشابه والاختلاف بين الروايتين، فالراوي الأول هو نفسه(عائشة)، والحدث العام كأنه هو، ولكنك تجد أن الهجاء شمل النبي(ص) مع الأنصار، وتشعر بغياب ابن رواحة- قبل أن تتنبه الرواية على ذلك- وبغياب الأمر بالإفادة من ابن أبي قحافة، وبغياب ذكر روح القدس، والألفاظ الحافة به، وتجد تعبيرا دالا هو(أجب عنا)، وكلاما على أبي سفيان بن الحارث وأهمية أن يستبعد من الهجاء، وتتنبه على تعبير(لأسلنك منهم) هنا، و(لأسلنك منه) في الرواية الثانية.

والتفاتة صغيرة منك إلى(جمهرة أشعار العرب) تدلك على رواية أكثر اختلافا وغرابة، إذ جاء فيها:"عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال: أتى حسان بن ثابت إلى النبي(ص)، فقال: يا رسول الله إن أبا سفيان بن الحارث هجاك، وأسعده على ذلك نوفل بن الحارث وكفار قريش، أفتأذن لي أهجوهم يا رسول الله؟ فقال النبي(ص): فكيف تصنع بي؟ فقال: أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين. قال له: اهجهم وروح

القدس معك، واستعن بأبي بكر، فإنه علامة قريش بأنساب العرب، فقال حسان يهجو نوفل بن الحارث: الطويل

وإن ولاة المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
وما ولدت أبناء زهرة منهم صميما، ولم يلحق عجائزك المجد
فأنت لئيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فلما أسلم أبو سفيان قال له النبي(ص):أنت مني وأنا منك ولا سبيل إلى حسان"[76]. فتعجب من هذه الرواية، فالهجاء موجه لنوفل بن الحارث بهذه القصيدة الدالية وليس لأبي سفيان بن الحارث، وحسان هو الساعي، والنبي(ص) يقول لأبي سفيان لما أسلم:(أنت مني، وأنا منك، ولا سبيل إلى حسان).

ز- موقف النبي(ص) من قريش: بعد أن ذكرت النصوص السابقة تشعر الآن أن الأمور تزداد تداخلا، وترى أن النصوص تكشف ما تريد قوله، وما تسعى إلى كشفه. ومن تلك النصوص:"عن أبي سلمة بن عبد الرحمن لما أن هجت قريش النبي(ص) أحزنه ذلك فقال لعبد الله بن رواحة: اهج قريش فهجاهم[هجاء] ليس بالبليغ إليهم، فلم يرض بذلك، فبعث إلى كعب بن مالك فقال: اهج قريشا فهجاهم هجاء لم يبالغ فيه، فلم يرض بذلك، فبعث إلى حسان بن ثابت وكان يكره أن يبعث إلى حسان، فقال حسان حين جاءه الرسول: أنا أهجو قريشا، قد آن لكم أن تبعثوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، فقال حسان بن ثابت:والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني هذا، ثم أطلع لسانه، فتقول عائشة: والله لكأن لسانه لسان حية، فقال رسول الله(ص) إن لي فيهم نسبا، وأنا أخشى أن تصيب بعضه، فائت أبا بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها فيخلص لك نسبي. قال حسان: والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم ونسبك مثل سل الشعرة من العجين. فهجاهم حسان فقال له رسول الله(ص): لقد شفيت يا حسان واشتفيت"[77].

وتقف مستفهما أمام تعبير(وكان يكره أن يبعث إلى حسان)، وأمام تعبير(قد آن لكم أن تبعثوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه)، وأمام(فائت أبا بكر) الذي كان(عليكم بابن أبي قحافة)، وأمام(أعلم قريش بأنسابها)! وتتنبه على ارتباط إتيان حسان أبا بكر بتخليص نسب رسول الله(ص) المتمثل بأبي سفيان بن الحارث، وعلى وجود زيادة هي:(لقد شفيت يا حسان واشتفيت)، وغياب ذكر(روح القدس) أو(جبريل).

وهناك رواية قريبة من هذه الرواية، هي:"حدثني يزيد بن عياض بن جعدبة أن النبي(ص) لما قدم المدينة تناولته قريش بالهجاء، فقال لعبد الله بن رواحة: رد عني. فذهب في قديمهم وأولهم، فلم يصنع في الهجاء شيئا، فأمر كعب بن مالك فذكر الحرب[...] فلم يصنع في الهجاء شيئا. فدعا حسان بن ثابت فقال: اهجهم، وائت أبا بكر يخبرك- أي بمعائب القوم، وكان أبو بكر علامة قريش"[78]. ثم تجد:"قال ابن جعدبة في حديثه: وأخرج حسان لسانه حتى ضرب به على صدره وقال: والله يا رسول الله، ما أحب أن به لي مقولا في العرب، فصب على قريش منه شآبيب شر، فقال رسول الله(ص): اهجهم، كأنك تنضحهم بالنبل"[79]. فيثيرك فضلا عن التفاوت في الرواية، واختفاء جمل وظهور جمل أخر، هذا النصح وهذا الرفق في قوله:(اهجهم، كأنك تنضحهم بالنبل)، بعد أن قال حسان:(فصب على قريش منه شآبيب شر)، ويثيرك غياب ذكر(روح القدس) أو(جبريل)، وربط الإخبار بالمعائب. وتحس بأن النبي(ص) أوصى حسان ووجهه، بل كما علق المحقق محمود محمد شاكر:"يأمره بأن يجرحهم جرحا لا يبلغ الطعن الفاحش. وهذا أكرم الأدب في الهجاء"[80].

ويذكرك هذا التعليق بقول عبد الله بن رواحة:"لما قلت:

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

قال: فكأني عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه الكراهية، إذ جعلت قومه(أثمان العباء)"[81].

وتتشابك الروايات عن أمر النبي(ص) بهجاء قريش، وتتقاطع في رواية أخرى، هي:"عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أن النبي(ص) قال: اهجوا قريشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل. فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم، فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه. قال: ثم أدلع لسانه فجعل يخرجه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم. فقال رسول الله(ص): لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد خلص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منه كما تسل الشعرة من العجين. قالت عائشة: فسمعت رسول الله(ص) يقول لحسان: إن روح القدس لن يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله. قالت سمعت رسول الله(ص) يقول: هجاهم حسان، فشفى واشتفى. قال حسان

هجوت محمدا وأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

هجوت محمدا برا حنيفا رسول الله شيمته الوفاء"[82].

ح- موقف المهاجرين: وتظهر لك روايات أخر تبين موقف المهاجرين، منها ما رواه محمد بن سيرين:"قال هجا رهط من المشركين النبي(ص) وأصحابه، فقال المهاجرون: يا رسول الله، ألا تأمر عليا فيهجو هؤلاء القوم، فقال: إن القوم الذين نصروا بأيديهم أحق أن ينصروا بألسنتهم، فقالت الأنصار: أرادنا والله فأرسلوا إلى حسان فاقبل فقال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما أحب أن لي بمقولي ما بين صنعاء وبصرى فقال: أنت لها، فقال: لا علم لي بقريش فقال لأبي بكر أخبره عنهم ونقب له في مثالبهم"[83].

وتتنبه على حضور أبي بكر في أثناء المحاورة، وقد مر بك غيابه.

ومنها ما رواه ابنه عوف بن محمد، إذ قال:"هجا رسول الله(ص) وأصحابه ثلاثة من كفار قريش أبو سفيان بن الحارث وعمرو بن العاص وابن الزبعرى. قال فقال قائل لعلي: اهج عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال فقال علي: إن أذن لي رسول الله(ص) فعلت. فقال الرجل: يا رسول الله أتأذن لعلي كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا، فقال: ليس هناك أو ليس عنده ذلك، ثم قال للأنصار: ما يمنع القوم الذين قد نصروا رسول الله بسلاحهم وأنفسهم أن ينصروه بألسنتهم فقال حسان بن ثابت: أنا لها يا رسول الله وأخذ بطرف لسانه فقال والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء فقال له رسول الله(ص) وكيف تهجوهم وأنا منهم قال إني أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين"[84].

وجاءت بشكل آخر، هو:"روي أن الذين كانوا يهجون رسول الله(ص) من مشركي قريش أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن الزبعرى وعمرو بن العاص وضرار بن الخطاب. وقال قائل لعلي بن أبى طالب رضي الله عنه: اهج القوم الذين يهجوننا، فقال: إن أذن رسول الله(ص) فعلت. فقال رسول الله: إن عليا ليس عنده ما يراد من ذلك، ثم قال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله(ص) بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم فقال حسان: أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء. قال رسول الله(ص) كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟ فقال: يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين، فقال: ائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك. فكان يمضى إلى أبى بكر رضي الله عنه ليقفه على أنسابهم. فكان يقول له: كف عن فلانة وفلانة واذكر فلانة وفلانة. فجعل يهجوهم

فلما سمعت قريش شعر حسان قالوا: هذا شعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة. فمن قول حسان في أبي سفيان بن الحارث:

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ولم يقرب عجائزك المجد"[85].

وهذه الأبيات هي نفسها التي ذكر أنها في نوفل بن الحارث! وأبو بكر الغائب هنا عن المحاورة(أعلم بأنساب القوم) من حسان، وليس(بأنساب العرب)!

وجاءت الجمل بشكل مقارب في البداية والوسط، واختلفت في النهاية، في رواية أخرى، هي:"فقال له الرسول(ص): أنت له، اذهب إلى أبي بكر يخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك. فقال يرد على أبي سفيان:

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء"[86].

وتفتش في كتبك الأدبية فتقرأ في كتاب الأمالي في الأدب الإسلامي للدكتورة ابتسام مرهون الصفار: فقال النبي(ص) مخاطبا الأنصار:"ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرّني به مقول بين بصرى وصنعاء، ولو شئت لفريت به المزاد. فقال: كيف تهجوهم وأنا منهم فقال: إني أسلّك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين. قال: فاذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم واهجهم وجبريل معك"[87]، وتجد تعليقا للمؤلفة على ما جاء في الاستيعاب تقول فيه:"ويكفي حسان فخرا ومكانة أن جعل رسول الله(ص) شعره معضّدا بالوحي وبجبريل وبروح القدس بيانا لمكانته ودفاعه عن الدعوة الإسلامية"[88].

ونصل، مما مر، إلى الخلاصة الآتية:

1- هناك عدة مواقف، تهمنا هنا، وقف فيها حسان أمام النبي ينشد الشعر:
أ- هاجيا المشركين بدوافع متعددة.
ب- مجيبا أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.
ج- مفاخرا وفد بني تميم.
د- مادحا الإمام علي(ع).

2- هناك عدة مراحل، تهمنا هنا، مر بها حسان، كشفت عنها أحاديث تلك المواقف، هي:
أ- أهمية الانطلاق من روح إيمانية في الهجاء.
ب- أهمية الانطلاق من معرفة بالأنساب في الرد على المشركين.
ج- أهمية الانطلاق من روح إيمانية ومن معرفة بالأنساب في المفاخرة.
د- الدعاء ببقاء الانطلاق من روح إيمانية ما دام مع الحق وأهله.

3- هناك تلاعب في الأحاديث النبوية لغة ودلالة، قام به الرواة والمفسرون والنقاد والمؤرخون على مر التاريخ!

4- كشف البحث عن أن لنوعية تعامل المتلقين لهذا الحديث مع لغته ودلالته ولطريقة لتوظيفهم له على وفق ذلك التعامل، الأثر الأكبر في توجيه الحديث وجهته التي عرف بها وعرفت له.

الهوامش

هوامش التمهيد

(1) الكتاب المقدس– العهد الجديد، إنجيل لوقا: إصحاح 12، فقرة 12.

(2) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: 323/2، وينظر: مستدرك الوسائل، ميرزا النوري:397/1.

(3) الكافي، الشيخ الكليني: 102/8.

(4) عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق:297/1.

(5) م.ن:15/2، وينظر: الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: 163/13.

(6) بحار الأنوار، المجلسي:293/10.

هوامش المبحث الأول

(7) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام:217/1.

(8) م.ن:217/1.

(9) ينظر: صحيح البخاري:212/2، و35/3، و74/4.

(10) ينظر: صحيح مسلم:163/7.

(11) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، منصور علي نايف:399/3.

(12) ينظر: مسند أحمد:199/4، 302.

(13) ينظر: م.ن:302/4.

(14) م.ن:301/4.

(15) المصنف، ابن أبي شيبة:173/6.

(16) م.ن:173/6.

(17) ينظر: السنن الكبرى، النسائي:80/5.

(18) المستدرك، الحاكم النيسابوري:487/3، وينظر: كنز العمال، المتقي الهندي:672/11.

(19) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي:377/9.

(20) م.ن:377/9.

(21) م.ن:124/8.

(22) ينظر: الغدير، الأميني:8/2.

(23) مسند أحمد:72/6.

(24) سنن أبي داود، ابن أبي الأشعث السجستاني:480/2، وينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني:144/4.

(25) سنن الترمذي:216/4–217، وينظر: جامع الترمذي مع شرح تحفة الأحوذي:32/4.

(26) المستدرك:487/3.

(27) كنز العمال:672/11.

(28) م.ن: 672/11.

(29) م.ن:672/11.

(30) م.ن: 673/11.

(31) الضعفاء الكبير، العقيلي:94/1.

(32) ينظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر:285/1.

(33) المصنف:173/6.

(34) المعجم الصغير، الطبراني:4/2.

(35) ينظر: مسند أحمد:222/5، وصحيح البخاري:212/2، وصحيح مسلم: 163/7، وكتاب الطبقات الكبير، ابن سعد: ج5، ق116/2، وكنز العمال:672/11، والتاج الجامع: 398/3-399، والأغاني: 137/4.

(36) مسند أحمد:222/5-223.

(37) ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه:46/1.

(38) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي:100/5، وينظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر:406/12، وكنز العمال:335/13.

(39) قضية الإسلام والشعر، إدريس الناقوري:46.

(40) م.ن:56، وينظر:75.

هوامش المبحث الثاني

(41) الخلاف، الشيخ الطوسي:473/1، وينظر: الفصول المختارة، الشيخ المفيد:291، والإرشاد، الشيخ المفيد:177/1، وبحار الأنوار: 166/37، والغدير:7/2، 37، 63.

(42) بحار الأنوار:150/37.

(43) أقسام المولى، الشيخ المفيد: 40.

(44) ينظر: الغدير:7/2، 37، 63.

(45) ينظر: م.ن:34/2.

(46) م.ن:34/2.

(47) الكنى والألقاب، عباس القمي:241/2.

(48) ينظر: تاريخ الطبري:826/3.

(49) الأغاني: 143/4.

(50) تاريخ الطبري:445/2، وينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير:205/2.

(51) تاريخ الطبري: 478/2-479، وينظر: السيرة النبوية، ابن سحق: 637-640، والكامل في التاريخ: 261/2-263.

(52) ينظر: تاريخ مدينة دمشق: 408/12-410.

(53) كتاب الطبقات الكبير: ج1، ق40/2.

(54) ينظر: تاريخ الطبري: 478/2، وتاريخ مدينة دمشق: 409/12، وكتاب الطبقات الكبير:ج1، ق40/2.

(55) الكامل في اللغة والأدب، المبرد: .

(56) ينظر: الأغاني: 145/4، وينظر أيضا: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د.عبد العزيز عتيق: 53.

(57) ينظر: الأغاني: 246/16(م.أ).

(58) قضية الإسلام والشعر: 30.

(59) صحيح البخاري: 34/3.

(60) م.ن :51/5.

(61) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر: 204/13، وكنز العمال 408/13.

(62) ينظر: فتح الباري :321/7، والسيرة النبوية:486،429.

(63) المستدرك:45/3

(64) المستدرك: 254/3، وينظر أيضا: 255/3، 256.

(65) بحار الأنوار: 259/22.

(66) ينظر: تاريخ الطبري: 455/2-456، وينظر أيضا: الكامل في التاريخ: 220/2-221.

(67) المستدرك: 255/3.

(68) م.ن: 255/3، وينظر أيضا: 256/3.

(69) كتاب التوابين، عبد الله بن قدامة: 166.

(70) ينظر: صحيح مسلم: 165/7، والمعجم الكبير، الطبراني: 38/4-39، وتاريخ مدينة دمشق: 394/12، والعقد الفريد:294/5-295، وأحاديث أم المؤمنين عائشة(أدوار في حياتها)، السيد مرتضى العسكري: 143/2.

(71) المستدرك:488/3-489، وينظر:الأغاني:245/16-246، والغدير:8/2.

(72) الغدير:8/2.

(73) العقد الفريد:294/5-295.

(74) تاريخ مدينة دمشق:392/12، وينظر: كنز العمال:340/13.

(75) تاريخ مدينة دمشق:392/12-393.

(76) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي (ت170هـ): .

(77) منتخب كنز العمال: 167/5، وينظر: تاريخ مدينة دمشق:393/12.

(78) طبقات فحول الشعراء:216/1-217.

(79) م.ن:217/1.

(80) م.ن:218/1 (في الهامش).

(81) م.ن:215/1، وينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:124/8.

(82) تاريخ مدينة دمشق: 401/12-402، وينظر: صحيح مسلم:164/7-165، والمعجم الكبير:38/4.

(83) فتح الباري:452/10.

(84) تاريخ مدينة دمشق: 96/28، وينظر عن الجمل الأخيرة: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد الإسكندري ومصطفى عناني:159.

(85) أسد الغابة، ابن الأثير:4/2-5.

(86) أحاديث أم المؤمنين عائشة(أدوار في حياتها):142/2-143.

(87) الأمالي في الأدب الإسلامي، د.ابتسام مرهون الصفار:48/47.

(88) م.ن:48.

المصادر والمراجع

- **الكتاب المقدس، العهد الجديد.**
* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، تح: مؤسسة آل البيت(ع) لتحقيق التراث، دار المفيد، بيروت، د.ت.
* أحاديث أم المؤمنين عائشة(أدوار في حياتها)، السيد مرتضى العسكري، النهضة، ط1، 1418هـ.
* أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، انتشارات إسماعيليان، طهران، د.ت.
* الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
* أقسام المولى في اللسان، الشيخ المفيد، تح: الشيخ مهدي نجف، دار المفيد، بيروت، ط2، 1993.
* الأمالي في الأدب الإسلامي، د. ابتسام مرهون الصفار، دار الحكمة، بغداد، 1991.
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1983.
* التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، منصور علي نايف، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط3، 1962.
* تاريخ الطبري- تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، تح: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ت.
* تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تح: علي شيري، دار الفكر، د.ت.
* تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د.عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط4، 1980.
* تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار الفكر، ط1، 1404هـ.
* جامع الترمذي مع شرح تحفة الأحوذي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
* جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي.
* الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، المحقق البحراني، تح: محمد تقي الإيرواني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
* الخلاف، الشيخ الطوسي، تح: سيد جواد شهرستاني وشيخ محمد مهدي نجف، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط1، 1417هـ.
* الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، مطبعة الفتح، جدة، ط1، 1365هـ.
* دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي، تح: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، 1963.
* سنن أبي داود، ابن أبي الأشعث السجستاني، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط1، 1990.
* سنن الترمذي، الترمذي، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، 1403هـ.
* السنن الكبرى، النسائي، تح:د.عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991.
* السيرة النبوية، ابن إسحق، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.
* صحيح البخاري، أبو عبد الله بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، 1986.
* صحيح مسلم، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، 1986.
* الضعفاء الكبير، العقيلي، تح:د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1418هـ.

* طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974.
* العقد الفريد، ابن عبد ربه، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1976.
*عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، تح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1404هـ.
* الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني، دار الكتب العربي، بيروت، ط3، 1967.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ط2، د.ت.
* الفصول المختارة، الشيخ المفيد، تح: السيد علي مير شريفي، دار المفيد، بيروت، ط2، 1993.
* قضية الإسلام والشعر، إدريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986.
* الكافي، الشيخ الكليني، تح: علي أكبر غفاري، مطبعة حيدري، ط2، 1389هـ.
* الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تح: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2002.
* الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار نهضة مصر، القاهرة، 1956.
* كتاب التوابين، عبدالله بن قدامة، تح: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.
* كتاب الطبقات الكبير، ابن سعد، عني بتصحيحه وطبعه: إدوارد شيخو، مطبعة بريل، ليدن، 1322هـ.
* الكنى والألقاب، عباس القمي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1970.
* كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، تح: الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.
* المستدرك، الحاكم النيسابوري، تح: د.يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ.
* مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا النوري، تح: مؤسسة آل البيت(ع) لإحياء التراث، ط1، 1408هـ.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر، بيروت، د. ت.
* المصنف، ابن أبي شيبة.
* المعجم الصغير، الطبراني، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
* المعجم الكبير، الطبراني، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط2، د.ت.
* الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط2، 1973.
* الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد الإسكندري ومصطفى عناني، دار المعارف، مصر، ط16، د. ت.